

المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة

العدد 13

ذو الحجة ١٤٣١

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

فهرس العدد

في رحاب المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم: ظلمةٌ تسبق فجراً ٣

من عظماء الإسلام: أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان عليها السلام ٦

من أدب الإسلام: آداب الطعام والشراب.. ٨

من وظائف العام: وظيفة شهر ذي الحجة ١٣

قبسات من المجلة الزيتونية: الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق ٢٠

علماء من غزة: العارف بالله ابن زُقّاعة الشافعي القادري الغزي ٢٥

بلادنا فلسطين: المدرسة الصلاحية ٢٨

في رحاب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

ظلمةٌ تسبق فجراً

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد ،،،

حالة العالم قبل الإسلام:

كانت شبه الجزيرة العربية محصورة بين دولتين كبيرتين هما دولة الفرس ودولة الروم، وكانت هاتان الدولتان تتحكمان في العالم في ذاك العصر الجاهلي، وكانتا على جانب كبير من الرقي والمدنية، ولكن فساداً كبيراً كان قد ألم بهما من الناحيتين الدينية والاجتماعية.

فبلاد الفرس كانت تنتشر فيها المجوسية، وهي عبادة النار، وهم يقولون: "إن الذي يتحكم في العالم إلاهان: إله الخير وإله الشر"، وقد انقسموا إلى مذاهب مختلفة، ولكل مذهب أنصار يعادون ويناوئون أنصار المذهب الآخر، وبلاد الروم كانت تنتشر فيها النصرانية، وقد انقسم النصارى إلى طوائف، وكل طائفة تناهض الأخرى وتعاديها، هذا من الناحية الدينية، أما على الصعيد الاجتماعي، فقد كان الناس في بلاد الفرس والروم طبقتين، **أولاهما:** طبقة الحكام والرؤساء وهم عدد قليل ضئيل، **وثانيهما:** طبقة المحكومين المرؤوسين وهم الغالبية العظمى والكثرة الساحقة، وقد كانت هذه الطبقة المحكومة تقاسي الجور والظلم من الأقلية الحاكمة، إذ كانوا يرهقونهم بالضرائب الفادحة ويعاملونهم معاملة العبيد، أو بعبارة أخرى كانوا يزرعون ويكدحون، ويحصد جهدهم الرؤساء والحكام ويتمتعون، ونتيجة ذلك كان من الطبيعي أن يتطلع الشعب في بلاد الفرس والروم إلى الخلاص من هذا الظلم والطغيان، وإلى تحقيق الحرية والإخاء والمساواة.

ناهيك عن التنافس بين قطبي ذلك الزمان، فقد كانت الحروب بينهما سجالاً، أحياناً ينتصر الفرس وينتزعون جزءاً من أملاك الروم، وأحياناً ينتصر الروم فينتزعون جزءاً من أملاك الفرس، وقد كانت آخر تلك الحروب الحربُ التي أشار إليها الحقُّ سبحانه وتعالى في قوله: [الم، غُلِبَتِ الرُّومُ،

فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ] (الروم: ١-٦)، وقد صدق الله سبحانه وتعالى وعده بعد ذلك بنصر المؤمنين، فانتصر الإسلام وانتشر في بلاد الفرس والروم، وعمَّ نوره العالمين.

العرب قبل الإسلام:

تقع بلاد العرب في الجنوب الغربي من قارة آسيا، ويحدها من الشمال فلسطين وبادية الشام، ومن الجنوب المحيط الهندي وخليج عدن، ومن الشرق الخليج العربي وبلاد العراق، ومن الغرب البحر الأحمر، وهذه البلاد الواسعة المساحة المترامية الأطراف يحيط بها الماء من ثلاث جهات: الشرق والغرب والجنوب، ولذلك سميت بشبه الجزيرة العربية، وهي بلاد صحراوية مجدبة في أغلب أجزائها، ليس بها من الأماكن الخصبة إلا بلاد اليمن وبعض الوديان الواقعة في نجد والحجاز، وهي وديان قليلة لا تسد حاجة السكان، وقد وجدت قديماً في بلاد اليمن بعض الممالك، مثل مملكة سبأ ومملكة حِمْيَر، ولكن النظام القبلي كان سائداً في سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية.

من هم العرب؟:

العرب أُمة سامية ترجع في نسبها الأول إلى سام بن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، وقد سُموا عرباً لأنهم لم يزالوا معروفين بين الأمم بالإعراب وهو البيان في الكلام والفصاحة في المنطق، يقال: أعرب إذا أفصح في منطقه، فهُم عرب لفصاحتهم في النطق، وقيل سُموا عرباً نسبة إلى يعرب بن قحطان جد العرب، فإنه أول من نطق باللغة الفصحى، وأخذها عنه أهل اليمن.

الحالة الدينية للعرب قبل الإسلام:

كانت الديانة الوثنية أي عبادة الأصنام هي الديانة المنتشرة في شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي (وهو عصر ما قبل الإسلام)، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم بعض هذه الأصنام، وبيَّن سفه العرب الذين كانوا يقدسونها فقال تعالى: [أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى] (النجم: ١٩-٢٢)، وكان أهل مكة يحجون إلى هذه الأصنام ويقدمون لها القرابين، وكانت الكعبة المشرفة في ذلك العصر الجاهلي مقر الوثنية إذ كانت تحيط بها الأصنام من كل جانب، وكان أعظمها (هُبَل) وهو تمثال من العقيق الأحمر على شكل

إنسان مكسور اليد، وقد أدركته قريش وهو مقطوع اليد اليمنى فصنعت له يداً من ذهب، أما عقيدتهم في تلك الأصنام فقد كانوا فريقين: بعضهم كان يعبدها على أنها تشفع لهم عند الله تعالى وتقربهم إليه، ويقولون إذا سئلوا عن الخالق الرازق إنه هو الله، وإذا سئلوا عن الأصنام يقولون: [مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى](الزمر: من الآية٣)، وبعضهم كان يعبدها على أنها هي الآلهة التي تضر وتنفع، وتعطي وتمنع، وتحيي وتميت، وقد نشأت عبادة الأصنام على ظهر الأرض منذ عهد (قابيل بن آدم)، فقد رُوِيَ أن وداً وسواعاً ويغوث ونسراً كانوا قوماً صالحين في عهد بني قابيل بن آدم، ولكنهم ماتوا جميعاً في شهر واحد، فجزع عليهم أهلوهم، وقال رجل منهم: يا قوم هل أصنع لكم خمسة أصنام على صورهم، ونصبها لهم، فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله، ولما تطاول عليهم الزمان نسوا أن هذه التماثيل صور أولئك الذين ماتوا من قديم الزمان، فعبدوهم واتخذوهم آلهة، وقد بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام بعد ذلك فأمرهم بترك عبادة هذه الأصنام فلم يستجيبوا له وكذبوه، فأخذهم الطوفان، ونجى الله تعالى سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ومن معه، وما آمن معه إلا قليل، وقد كانت عبادة الأصنام في شبه الجزيرة العربية متأثرة بتماثيل قديمة لبعض العظماء الذين اشتهروا بمميزات خاصة دفعت الناس إلى تخليد ذكراهم، وبتطاول الزمن نسي الناس أنها تماثيل واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله تعالى وتقربهم إليه زلفى، بل اعتقد بعضهم أنها آلهة، وهكذا حوت الجزيرة العربية أدياناً مختلفةً، ولكن الغالبية كانت تدين بالوثنية، وقد ظهر في شبه الجزيرة العربية عدد ضئيل من الناس أدركوا بعقولهم فساد هذه الأديان جميعاً ووصلوا إلى توحيد الله تعالى.

حال من الظلمة والظلم كانت تسود الأرجاء، لكن مع اشتدادها تستبشر البشرية كلها بفجر جديد يمحق كل ظلم، وينير كل ظلمة، موعدنا في العدد القادم، مع خير نور جاء الوجود، نور الحبيب الكامل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نسأل الله تعالى التوفيق لحسن التمام وصلاح العمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

من عظماء الإسلام

أم المؤمنين

رملة بنت أبي سفيان عليها السلام

اسمها وكنيتها عليها السلام:

هي السيدة الطاهرة الزكية أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان عليها السلام المكناة بأم حبيبة، أبوها أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي - عمة سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص - عليه السلام.

مولدها ونشأتها وزواجها عليها السلام:

ولدت عليها السلام قبل البعثة بسبعة عشر عاماً، ونشأت في بيت عزٍّ وكرمٍ وجاه، تزوجها حليفهم عُبَيْد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة، فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى، ولما تنصر زوجها عبيد الله بن جحش وارتد عن الإسلام أبت أن تتنصر وثبتت على إسلامها ففارقها، فتزوجها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تقول السيدة أم حبيبة عليها السلام: "رأيت في المنام كأن زوجي عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة ففزعت فأصبحت فإذا به قد تنصر، فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات، فأتاني آت في نومي فقال يا أم المؤمنين ففزعت، فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي يستأذن، فإذا هي جارية له يقال لها أبرهة، فقالت: إن الملك يقول لك وكلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية فوكلته، فأعطيت أبرهة سوارين من فضة، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة فأجبت وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير، فخطب خالد فقال: قد أُجِبْتَ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزَوَّجْتُه أم حبيبة، وقبضَ الدنانير،

وعمل لهم النجاشيُّ طعاماً فأكلوا، قالت أم حبيبة: فلما وصل إليَّ المال أعطيت أبرهة منه خمسين ديناراً، قالت: فردَّها عليَّ وقالت: إن الملك عزم عليَّ بذلك، ورَدَّت عليَّ ما كنت أعطيتها أولاً، ثم جاءتني من الغد بعُودٍ ووِرْسٍ وعنبرٍ وزبادٍ كثير، فقدمت به معي علَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"(أخرجه ابن سعد)، وأمهَرَها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعمائة دينار، وكان ذلك سنة سبع.

مناقبها عليها السلام:

كانت عليها السلام صوامة قوامة شديدة الحب لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعندما قدم أبو سفيان المدينة ليزيد في الهدنة مع قريش بعد أن نقض حلفاؤها الصلح واعتدوا على حلفاء سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، دخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه، قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: لقد أصابك بعدي شر.

وروت السيدة أم حبيبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث، وعن زينب بنت جحش أم المؤمنين، وروت عنها بنتها حبيبة وأخواها معاوية وعتبة وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان وأبو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي وهو ابن أختها، وسالم بن سوال، وأبو الجراح، وصفية بنت شيبة، وزينب بنت أم سلمة، وعروة بن الزبير، وأبو صالح السمان وآخرون.

وفاتها عليها السلام:

توفيت السيدة أم حبيبة عليها السلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم سنة أربع وأربعين للهجرة، وكانت قد دعت السيدة عائشة عليها وعلى أبيها السلام عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فتحلليني من ذلك، فحللتها واستغفرت لها، فقالت عليها السلام: سررتني سرك الله، وأرسلت الى أم سلمة بمثل ذلك، رضي الله تعالى عنهن وألحقنا بهن في مستقر رحمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من أدب الإسلام

آداب الطعام والشراب

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وأكرمنا بأعظم معلم، وأطهر مؤدب، سيدِنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قدوة العالمين، ونور المهتدين، وسراج المتَّبِعين، سيدِ الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد ،،،

فإن شرعنا الحنيف لم يترك أمراً من أمور الدنيا والدين إلا وبَيَّن لنا آدابه، وحرَّض على التأدب بها حرصاً على تقويم أنفسنا وتهذيبها وتزيينها، وكما نعلم فإن عادة الطعام والشراب لا غنى عنها كعادة يومية، وقد بَيَّن لنا سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آداب هذا المقام، وإن من جملة هذه الآداب ما يلي:

إذا كنت ضيفاً: فاحرص على أن لا تخرج إلا برضى صاحب المترل وإذنه، ولا ينبغي لك كضيف أن تجلس في مقابلة حجرة النساء وسترهن، ولا تكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام، كما لا يجوز لك كضيف التصرف في الطعام بما سوى الأكل المأذون فيه عرفاً، وإذا ما كنت أنت المضيف فمن أدب المضيف أن تشيع ضيفك عند خروجه إلى باب الدار، فإن ذلك سنَّة، وإذا حضر المدعوون وتأخر واحد أو اثنان عن الوقت الموعود، فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حقهما في التأخير، إلا أن يكون المتأخر فقيراً ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير، ولا يمتنع من أن يُخَصَّ بعض الضيوف بنوع من الطعام دون غيرهم إذا اقتضت الحاجة، وجلوس الضيف على ركبتيه عند تناول الطعام من السنة، لما رُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه p جثا على ركبتيه للأكل وجلس على رجليه i ، وله أن يقعد مستوفزاً لما رُوِيَ أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قعد على طعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال: p إنما أنا عبد آكل ما يأكل العبد، وأفعل ما يفعل العبد i (رواهما أبو الحسن المقدسي في السابل).

ومن أدب الطعام ألا يأكل متكئاً: فعن أبي جُحَيْفَة وهب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p لا آكل متكئاً i (رواه البخاري)، وذلك لما فيه من الضرر الصحي وظواهر الكبر والتعالي، ويكره أن ينفض أصابعه في القصعة، وأن يذكر شيئاً من المستقذرات أثناء تناول الطعام، وينبغي أن يأكل اللقمة الساقطة ما لم تتنجس ويتعَذّر تطهيرها، للأحاديث الصحيحة في ذلك، كما ويكره الأكل والشرب مضطجعاً، والشرب منبطحاً مكروه وفيه أذى للمعدة.

ومن جملة الآداب كذلك أخي المسلم غسل اليدين قبل الطعام وبعده: لما ورد عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال: قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده i (رواه الإمام أحمد)، ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد الصحية، بالإضافة إلى إبعاد الشيطان الذي يشارك الإنسان في كل شيء مما يقلل البركة، ولا يكره غسل اليد بالأشنان (أي الصابون) وإن كان مُحْدِثاً، قال الدُّمْيْري: ولا بالنخالة ونحوها؛ ففي سنن أبي داود أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم p أمر امرأةً أن تجعل في الماء ملحاً ثم يغسل به الدم i ، وكما ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "أن يغسل الأصابع الثلاث من اليمين أولاً ويضرب بأصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه"، ويصب صاحب المترل الماء على يدي ضيفه كما فعل الإمام مالك ذلك مع الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى في أول نزوله عليه، وقال له: "لا يرعك ما رأيت مني"، حتى قيل: إن خدمة المضيف فرض.

ومن الآداب أن يبسمل أولاً جهراً، والأفضل أن ينوي الأكل بنية التقوِّي على العبادة، ومن الألفاظ المسنونة "بسم الله الرحمن الرحيم"، "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء"، فإن الشيطان يأكل ويشرب من طعام الناس ومائهم، حتى إن نسي قال إذا تذكر: "بسم الله أولَه وآخره"، وينبغي أن يجهر بها جهراً يسمعه رفيقه سماعاً محققاً ليقتدي به فيها أو لينتبه غيره لها، ويستحب لكل واحد من الجماعة أن يسمي فإن سمى واحد من الجمع أجزأ عن الباقين، وذلك مما نص عليه الإمام الشافعي، لأنها سنةٌ على الكفاية، وكذا يسن له أن يأكل بيمينه ومما يليه، لما ورد في حديث سيدنا عمر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنه قال: كنت غُلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p يَا غُلامُ سَمِّ اللهَ وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك i (متفق عليه).

ويستحبُّ للجنب والمحدث التطهير عند الأكل، فإن فقد الماء تيمم، ويكره أن يعيب الطعام، ولا بأس بقوله لا أشتهيه، لما رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: p ما عاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه i (رواه البخاري)، وذلك لما في إعابة الطعام من الكبر والرعونة والترف، وما في ذمه من احتقار للنعمة التي ينبغي أن تصان بحمد الله وشكره والقناعة بالقليل منها، ففي حديث سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خلّ، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: p نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ i (رواه مسلم)، ويستحب التأدب في الأكل وترك الشَّرَه، إلا أن يكون مستعجلاً يريد الإسراع لشُغلٍ آخر.

كما ويستحب الحديث على الطعام، لما صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتحدث إلى أصحابه وهو يأكل على المائدة في أكثر من مناسبة، قال الإمام النوويُّ رحمه الله تعالى: "وإذا أكل جماعة فمن الأدب أن يتحدثوا على طعامهم بما لا إثم فيه، ويكره أن يتمخط أو يبزق في حالة الأكل إلا لضرورة".

ومما يستحب لك أخي المسلم أنك إذا ما نظرت للطعام أن تتأمل فيه، وتسأل نفسك ما مصدره؟، وكيف حضر لك؟، وكيف أنه سيقويك من بعد ضعف، ويشبعك من بعد جوع بفضل كرم الله تعالى ورحمته بك، فتتعلم الرفق وطيب الجانب فتستشعر عظمة مقام العبودية لله تعالى.

ويستحب لمن يأكل أن يضم شفتيه عند الأكل لمعنيين، **أحدهما:** أنه يأمن ما يتطاير من البصاق حال المضغ، وقد يقع ذلك في الطعام فيورث القنافة، **والثاني:** أنه إذا ضم شفتيه لفمه تَرَقّق، وينبغي له عند السعال أن يحول وجهه عن الطعام أو يبعده عنه أو يجعل شيئاً على فمه لئلا يخرج منه بصاق فيقع في الطعام، وأن لا يطأطئ برأسه على الإناء حالة الأكل، وإذا كان المأكول بطيخاً قد وضع على طبق أو غيره فينبغي له ألا يخلط ما أكله من القشر بما لم يؤكل، لأنه يورث القنافة وتنفيراً عن أكل الباقي، ولا يرمي القشر، لأن في رميه كلفة في جمعه ليطرح في المزبلة، وربما نالت

القشور رأس الجليس فصدمته، أو تقابل منها شيء حالة الرمي، بل يجعله على حدة، ولا يكره الكرع في الماء وهو الشرب بالفم من غير عذر في اليد.

والأولى أن لا يأكل الشخص وحده، وأن لا يترفع عن مؤاكلة الغلام والصبيان والزوجة، وأن لا يتميز عن جلسائه بنوع من الطعام إلا لحاجة كدواء ونحوه، وأن يمد الأكل مع رفقته ما دام يظن لهم حاجة إلى الأكل، وأن يؤثرهم بفاخر الطعام، كقطعة لحم وخبز لين أو طيب، ويستحب الترحيب بالضيف وحمد الله تعالى على حصوله ضيفاً عنده، وسروره وثنائه عليه لجعله أهلاً لتضييفه؛ ففي الصحيحين أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليُكْرِمْ ضَيْفَهْ **i** ، وينبغي للآكل أن لا يديم النظر إلى جليسه، لأن ذلك يخجله فيترك الطعام قبل الشبع، وينبغي للآكل أن يتوسط في أكله، فلا يقصر فيه حتى ينسب إلى التحشم، ولا يتابع فيه حتى ينسب إلى الشَّرَه والجوع والبخل، وأن لا يقضم الخبز بفمه ثم يضعه في الطعام، فإنه يورث قنافة، من حيث إنه قد يكون أبخر الفم، ولأن البصاق ينفصل على اللقمة من الفم إلى الطعام.

ويستحب للمَضيف أن يدعوَ لمضيفه إذا فرغ من الطعام، لما رُوِيَ عن سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء إلى سيدنا سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصَلَّتْ عليكم الملائكة **i** (رواه الإمام أحمد).

ومن أدب الأكل في آخره وكذا الشرب: أن يقول: "الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفي ولا مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا"، فقد ثبت في (صحيح البخاري) عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقوله، ورُوِيَ عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده - أو قال يديه- قال صلى الله عليه وآله وسلم: **p** الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، مَنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب،

وكسا من العري، وهدى من الضلال، وبصر من العمى، وفضلني على كثير من خلقه تفضيلا i (رواه النَّسائي).

وفي (الحلية) عن كعب الأحبار قال: "من خشي أن يتخم من طعام أو شراب فليقرأ: [شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ] الآية، فإنه لن يتخم إن شاء الله تعالى"، وفي كتاب (الدعاء) لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى عن سيدنا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: "من قال حين يوضع طعامه بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء، لا يضر مع اسمه داء، اجعل لي فيه بركة وعافية وشفاء، ما كان ليضره ذلك الطعام"، وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في (الإحياء) فيما يستحب بعد الطعام ويأمن من ضرره: أن يقرأ بعده سورتي [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ]، و [لِإِيلافِ قُرَيْشٍ]، كذا ذكر السهروردي في (عوارف المعارف) وقال: ويقول: "الحمد لله على كل حال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتنزل البركات، اللهم اجعله عوناً على طاعتك، ولا تجعله عوناً على معصيتك"، فإنه إذا قال ذلك على الطعام أو في أوله أذهب الله عنه الداء المغير لمنهاج القلب، لا سيما إذا قال: "اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وما رزقتنا بما نحب فاجعله عوناً لنا على ما تحب، وما زويت عنا مما نحب فاجعله مرغِّباً لنا فيما تحب" ا.هـــ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من وظائف العام

وظيفة شهر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

فذو الحجة، هو شهر مكرم من تمام الأشهر الحرُم الأربعة وأشهر الحج الثلاثة، ويتأكد صوم التسع الأول منه تأكيداً شديداً، وقد جاء في فضلها وفضل العمل والدعاء فيها آثار كثيرة، فقد روى سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام i ، يعني أيام العشر قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: p ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء i (رواه البخاري)، وعن سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة i (رواه ابن حبان).

وللعشر الأُول من ذي الحجة فضائل كثيرة، ويكفي في فضلها أن الله عز وجل أقسم بها حيث قال: [وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ] (الفجر: ١-٢)، ومن فضائلها أيضاً: أنها جملة الأربعين التي واعدها الله عزَّ وجلَّ لسيدنا موسى عليه الصلاة السلام، قال الله تعالى: [وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً] (الأعراف: من الآية١٤٢)، روى عبد الرزاق عن مجاهد قال: "ما من عملٍ أيامَ السنة أفضل منه في العشر من ذي الحجة، وهي التي أتمها الله لموسى عليه السلام".

ومن فضائل ذي الحجة: أنه خاتمة الأشهر المعلومات، أشهر الحج التي قال الله سبحانه وتعالى فيها:

[الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ] (البقرة: من الآية١٩٧)، وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة.

ومن فضائله: أنه الأيام المعلومات التي شرع الله ذكرَه فيها على ما رزق من بهيمة الأنعام، قال الله تعالى: [وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا

مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ] (الحج: ٢٧-٢٨)، وقد أخرج الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ابن عمر وسيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما: "أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العَشْرِ فيُكَبِّران ويُكَبِّرُ الناس بتكبيرهما"، ولما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فَرَضَ على المستطيع الحج مرةً واحدةً في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عَجَز عن الحج في عامٍ قَدَر في العشر على عملٍ يعمله في وطنه.

واليوم التاسع منه وهو يوم عرفة أفضل أيام السنة، وصومه يكفر ذنوب السنة التي قبله والتي بعده، وإنَّ من نذر أن يصوم في أفضل يوم فليصم أو يعمل ما نذره في يوم عرفة، ويكره صوم يوم عرفة لمن كان حاجاً بعرفة، إذ الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان فيه مفطراً، وفي الصحيحين عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ أَيُّ آيَةٍ قَالَ: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا]، قَالَ سيدنا عُمَرُ رضي الله تعالى عنه: "قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ"، وخَرَّج الترمذي عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نحوه وقال فيه: "فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ وَيَوْمِ عَرَفَةَ".

وليوم عرفة فضائل متعددة:

منها: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، **ومنها:** أنه قيل إنه الشفع الذي أقسم الله به في كتابه وأن الوتر يوم النحر، وقيل: إنه الشاهد الذي أقسم الله به في كتابه فقال تعالى: [وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ] (البروج: ٣)، ورُوِيَ في المسند عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: **p** الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة **i** ، **ومنها:** أنه رُوِيَ أنه أفضل الأيام لما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** أفضل الأيام يوم عرفة **i** ، وذهب إلى ذلك طائفة من العلماء، **ومنها:** أنه يوم الحج الأكبر عند جماعة من السلف منهم عمر وغيره، **ومنها:** أن صيامه كفارة سنتين - أي لصغائر

الذنوب دون كبيرها إذ تحتاج الكبائر للتوبة النصوح-، **ومنها:** أنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف - وهذا للحجاج في عرفة-، فقد جاء في صحيح مسلم عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ **i** ، وفي المسند عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: **[** انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً **]** **i** ، وخَرَّج الإمام مالك في الموطأ من مراسيل سيدنا طلحة بن عبيد الله بن كُرَيْز أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يومَ عرفة **i** ، وما ذاك إلا لما يرى من تنزُّل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رؤي يوم بدر، فمن طمع في العتق من النار ومغفرة ذنوبه في يوم عرفة فليحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة **والتي منها:** صيام ذلك اليوم، فعن سيدنا أبي قتادة رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **p** صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده **i** - أي الصغائر- (رواه مسلم)، **ومنها:** حفظ جوارحه عن المحرمات في ذاك اليوم، فعن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **p** يوم عرفة هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له **i** (رواه الإمام أحمد)، **ومنها:** الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق فإنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه، فقد رُوِي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم عرفة: **p** لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير، وهو على كل شيء قدير **i** (رواه الإمام أحمد)، وخَرَّجه الترمذي ولفظه: **p** خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير **i** ، وخرَّج الإمام أحمد من حديث الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية: **[** شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] (آل عمران: ١٨)، ويقول: p وأنا على ذلك من الشاهدين، يا رب i ، فتحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار، **ومن أسباب المغفرة أيضاً:** كثرة الدعاء بالمغفرة والعتق، فإنه يرجى إجابة الدعاء فيه، فقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الإمام عليٍّ عليه السلام قال: "ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عتقاء من النار، وليس يوم أكثر فيه عتقاً للرقاب من يوم عرفة فأكثر فيه أن تقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عني فسقة الجن والإنس فإنه عامة دعائي اليوم".

وليحذر كذلك من الذنوب التي تمنع المغفرة فيه والعتق والتي منها: الاختيال، فعن سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p ما يرى يوم أكثر عتيقاً، ولا عتيقة من يوم عرفة لا يغفر الله فيه لمختال i (خرَّجَه الطبراني)، والمختال: هو المتعاظم في نفسه المتكبر، قال الله تعالى: [وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] (الحديد: من الآية٢٣).

من عرف ما يطلب هان عليه كل ما يبذل، ومن يخطب الحسناء لم يغله مهر، قال يحيى بن معاذ: "العبد يوحش ما بينه وبين سيده بالمخالفات ولا يفارق بابه بحال، لعلمه بأن عز العبيد في ظل مواليهم"، وأنشأ يقول:

قُــرَّةَ عينِــي لا بُــدَّ لِــي مِنْــكَ وَإِنْ ... أَوْحَــشَ بينِــي وبينَــكَ الزَّلَــلْ

قُــرَّةَ عينِــي أَنَــا الغَرِيــقُ فَخُــذْ ... كَــفَّ غريــقٍ عَلَيْــكَ يَتَّكِــلْ

واليوم العاشر منه هو عيد الأضحى ويسمى يوم النحر، وقد سماه الله يوم الحج الأكبر، وهو الثالث من المواسم الشرعية وهو أعظم مواسم المسلمين، ويحرم صومه إجماعاً ويفسد، وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على إكمال الحج الذي هو الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم، وإنما يكمل الحج بيوم عرفة، فلذلك صار اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم، مَن شهد الموسم منهم ومن لم يشهده، لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة، وشرع للجميع التقرب فيه بالنسك وهو إراقة دماء الأضاحي، فأهل الموسم يرمون الجمرة ويشرعون في التحلل من إحرامهم بالحج ويقضون تفثهم ويوفون نذورهم ويقربون قرابينهم من الهدايا ثم يطوفون بالبيت العتيق، وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره والصلاة له، ثم ينسكون عقب ذلك نسكهم ويقربون قرابينهم بإراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك

شكراً منهم لهذه النعم، والصلاة والنحر في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر، لهذا أُمر سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل شكره لربه على إعطائه الكوثر أن يصليَ لربه وينحرَ وقيل له قل: [إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ](الأنعام: ١٦٢)، ولهذا ورد الأمر بتلاوة هذه الآية عند ذبح الأضاحي، والأضاحي سنة سيدنا ومولانا إبراهيم عليه السلام وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الله شرعها لإبراهيم حين أُمِرَ بذَبح ولده ففداه الله بذِبحٍ عظيم، وفي حديث زيد بن أرقم: قيل: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: p سنة إبراهيم i ، قيل له: فما لنا بها؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: p بكل شعرة حسنة i قيل: فالصوف؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: p بكل شعرة من الصوف حسنة i (خرَّجه ابن ماجه)، والأيام الثلاثة بعد النحر وهي أيام التشريق يحرم صومها، لما أخرجه ابن ماجة في سننه من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p أَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ i ، وقد أمر الله تعالى بذكره في هذه الأيام المعدودات كما تقدم، وهذا الذكر المأمور به على عدة أنواع:

منها: ذكر الله عزَّ وجلَّ عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير في أدبارها، وهو مشروع إلى عصر آخر أيام التشريق، **ومنها:** ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك، فإن وقت ذبح الهدايا والأضاحي يمتد إلى آخر أيام التشريق، **ومنها:** ذكر الله عز وجل على الأكل والشرب، فإن المشروع في الأكل والشرب أن يسميَ الله في أوله ويحمده في آخره، وفي الحديث عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: p إن الله عز وجل ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها i (رواه مسلم)، **ومنها:** ذكره بالتكبير عند رمي الجمار في أيام التشريق، وهذا خاص بأهل الحج، **ومنها:** ذكر الله تعالى المطلق فإنه يستحب الإكثار منه في أيام التشريق، وقد كان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يكبر بمنىً في قبته فيسمعه الناس فيكبرون فترتج منى تكبيراً، وقد قال الله سبحانه وتعالى: [فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ](البقرة: ٢٠٠)، وقد استحب كثيرٌ من السلف كثرة الدعاء بهذا في أيام التشريق، قال

عكرمة: كان يستحب أن يقال في أيام التشريق: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"، وعن عطاء قال: "ينبغي - أي بمعنى يستحب- لكلِّ مَن نفَر أن يقول حين ينفر متوجهاً إلى أهله: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"(خَرَّجَهُمَا عبدُ بنُ حُمَيْد في تفسيره)، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية للخير، وقد كان سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر منه، وكان إذا دعا بدعاء جعله معه، فإنه يجمع خير الدنيا والآخرة، قال الحسن: "الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة"، وقال سفيان: "الحسنة في الدنيا: العلم والرزق الطيب، وفي الآخرة: الجنة"، والدعاء من أفضل أنواع ذكر الله عزَّ وجلَّ، وفي الأمر بالذكر عند انقضاء النسك معنى: وهو أن سائر العبادات تنقضي ويفرغ منها، وذكر الله باقٍ لا ينقضي ولا يفرغ منه، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله تعالى بذكره عند انقضاء الصلاة، قال الله تعالى: [فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ] (النساء: من الآية١٠٣)، وقال تعالى في صلاة الجمعة: [فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ](الجمعة: ١٠)، وقال تعالى: [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ](الشرح: ٧-٨)، قال الحسن: "أمره إذا فرغ من غزوة أن يجتهد في الدعاء والعبادة فالأعمال كلها يفرغ منها، والذكر لا فراغ له ولا انقضاء، والأعمال تنقطع بانقطاع الدنيا ولا يبقى منها شيء في الآخرة، والذكر لا ينقطع، المؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه وعليه يبعث".

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة فما عنها عوض ولا لها بديل، المبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل حلول الأجل، قبل أن يندم المفرط على ما فعل، قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحاً فلا يجاب إلى ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمل وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء مرتهناً في حفرته بما قدم من عمل.

لَـــيْسَ للمَيْـــتِ فِـــي قَبْـــرِهِ فِطـــرٌ و لا أَضْـــحَى وَلا عَشْـــرْ
نَـــاءٍ عَـــنِ الأَهْـــلِ عَلَـــى قُرْبِـــهِ كَـــذَاكَ مَـــنْ مَسْـــكَنُهُ القَبْـــرْ

إن لله في أيامنا لنفحات يصيب بها من يشاء، هلا فلنتعرض إليها، لأن من أصابته كان من السعداء المقربين، جعلنا الله وإياكم منهم، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

قبسات من المجلة الزيتونية

الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق

إن الله تعالى وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة حفظ فيها على الخلق قلوبهم من الزيغ والضلال وحببها لهم بذلك، فالله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله وزينه في قلوب المؤمنين بذلك وبالوعد الصادق عليه.

ورتب سبحانه فروض الشريعة على قواعد وأسس أصلها ثابت وفرعها في السماء بما يحفظ على الإنسان العقل والمال والنفس والعرض، وجعل سبحانه هذا الدين يسراً وليس بعسر لتحقيق ما كلفهم به، فروعي في تكاليف الشريعة أصولاً منها التيسير والأخذ بالرفق خشية الملل ودفعاً للحرج، فقد جاء في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: p إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن الْمُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى i ، وقال تعالى: [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ] (الحج: من الآية ٧٨).

ومنها ملابسة حالتي الرجاء والخوف ليكون حال المؤمن وسطاً بين الإفراط والتفريط، فالخوف سوط سائق يبعده عن غرور النفس ومتابعة الشهوات وتحكيم الهوى الذي يضله عن الصراط السوي، والرجاء قائد يبعث في نفسه النشاط على الطاعة والامتثال والصبر على تكاليف الشريعة، وتتولد من هذه الملابسة بعد استحكامها وتقررها في نفس المؤمن حالة أخرى وهي حالة المحبة التي تزول معها كل المشاق التي يتوهم أن التكليف من حيث هو تكليف للنفس فيه مشقة على المرء وتعب يروم الانفلات منه، فإن المحبة إذا تمكنت من نفس المحب يصير بها يعمل ويبذل المجهود في سبيل إرضاء المحبوب، فيصير ما يتخيل أنه صعب سهلاً عليه سيما بعد أن يدرك أن منفعة عمله إنما ترجع إليه خاصة، إما في العاجلة أو الآجلة، بل يرى نفسه مقصراً في الإيفاء بعهد المحبة كلما توغلت نفسه فيها، ولا أنه قام بشكر النعمة التي ما انفك يتقلب فيها آناء الليل وأطراف النهار ويغمره بها المنعم جَلَّ إنعامه.

والإنسان بما ركبت فيه من شهوات وما استقر في نفسه من الميل لحظوظه الحيوية كان شغوفاً في حياته كلها بتحقيق تلك الحظوظ والنيل من الشهوات بقسط أوفر أو أقل حسبما تسمح له به طاقته، يسعى كل السعي لنيل مرغوبه ويرى السعادة في ذلك، ولكن الله جلت حكمته لم يتركه وشأنه يتخبط بين الحق والباطل، بل أقام له حاجزاً يفرق بين الحق والباطل وجعل له إماماً هادياً يهديه سبيل السعادة بما يكفل له استيفاء حظوظه التي لا ضرر فيها، ومنعه من مسايرة الهوى والميل مع الشهوات والحظوظ مطلقاً؛ لأن الاسترسال في ذلك من غير تقييد فساد كبير، والله لا يحب لعباده الفساد.

ولرفع هذا الاسترسال وكبح جماح الأنفس بعث الله الرسول الأكرم بشرع عدل روعي فيه جانب الخالق سبحانه وما يتطلبه حال المخلوق بالنظر إلى كونه عبداً لله تعالى من جهة، وبالنظر إلى كونه بشراً إنساناً، وبالنظر إلى كونه خليفة في الأرض من جهة أخرى، فجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى والعلم الذي يحفظ الحقوق ويحقق تلك الأنظار، فكانت محاسن الشريعة الإسلامية في عقائدها وفي عباداتها وفي معاملاتها وفيما أوصت به من أخلاق فاضلة وصفات كريمة، كل ذلك مراعياً فيه مصالح البشر بما يعود نفعه عليهم في العاجلة والآجلة، وحسبك أنه النور السرمدي والرحمة الربانية التي بعث بها رسول الرحمة والهدى لإرشاد العباد إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والأخرى.

وقصدنا في هذه العجالة أن نذكِّر بما جاءت به الشريعة في باب الأخلاق الذي هو قسم مستقل برأسه اهتمت به الشريعة أيما اهتمام، ورغبت في الاعتناء به أيما ترغيب، حتى قال عليه الصلاة والسلام في حقه: p بعثت لأتمم مكارم الأخلاق i (رواه الحاكم والبيهقي).

وكان الناس من فرط إهمالهم لأمر الأخلاق يحسبه الجاهل منهم أمراً وراء التكاليف الشرعية فلا يعيره وزناً ولا يقرأ له حساباً، كأن الله لم يكلفه به وكأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يشرع فيه شيئاً، وإذا سمع الناس من مرشد واعظ مواعظ أخلاقية اعتبروها أموراً تكميلية لا تستحق كبير اهتمام فلا تتأثر بها نفوسهم ولا تحفظها قلوبهم، وإذا جاء طور العمل عمِل كل إنسان بما تخلق به، لا يفكر فيما سمعه من المرشد تفكيراً ما فضلاً عن كونه يسعى في مقاومة نفسه أو يجِدُّ في ترويضها بما ضعف فيها أو كانت بمعزل عنه، مع أن صاحب الشريعة ما انفك يعمل

مدة البعثة لغرس الأخلاق الفاضلة في النفوس وتمكينها منها وتربيتها على الأخذ بها حتى ظهر آثار ذلك في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وقصَّت علينا كتب السير من ذلك الشيء الكثير.

وأنت إذا تأملت في سبب انتشار القبائح وفشوها بين الناس بان لك بوضوح أن سبب ذلك يرجع إلى تدهور الأخلاق وسقوطها بصورة تركت المجال فسيحاً لنفاق سوق المهالك فاعتاد الناس وسارت إليه خطاهم عن عجل، فعَزَّت الفضيلة وقل أهلها والراغبون فيها وطغت عليهم موجة الشره وتصوروا الأمور على غير وجهها الصحيح فضلوا وأضلوا الناس على غير علم، والناس من طبعهم التقليد وقليل منهم المتبصرون، ولا تعجب من ذكر هذا السبب واعتبار الأخلاق هي الركن الأساسي؛ لأن الخلق هو ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال النفسانية من اعتقاد أو قول أو عمل بسهولة من غير نظر وتفكر، فكل قبيح مصدره سوء الخلق، وكل حسن مصدره حسن الخلق، والخلق هو المسيطر على حركة النفس التي تنشأ عنها أفعال العباد الظاهرة والباطنة، وهذه الملكة منها ما هو جبلة ومنها ما هو مكتسب وهو الأصح، قال القرطبي: "الخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها كان محموداً وإلا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً صاحبه، حتى يقوى، وقد وقع في حديث الأشج: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له: p إن فيك لخصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة i ، قال: "يا رسول الله قديماً كانا فيَّ أو حديثاً"، قال: p قديماً i ، قال: "الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما"(رواه أحمد والنَّسائي وصححه ابن حبان)، قال: فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبِلِّيٌّ وما هو مكتسب، وهذا هو الحق بدليل أن الشرع الإسلامي أمر بمحاسن الأخلاق وأغرى العباد عليها، وحذر من القبائح وتوعد عليها، وما ذلك إلا لاكتساب الأخلاق الحميدة والتباعد عن الأخلاق الذميمة، قال الشيخ عبد الغني النابلسي: ولو لم يمكن التغيير في الأخلاق ما كان للأمر والنهي فائدة.

ومنشأ الخلق قوى النفس الإنسانية، وهي ثلاثة قوى: قوة الإدراك وقوة الغضب وقوة الشهوة، وكل هذه الثلاثة على ثلاث مراتب: مرتبة الاعتدال ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الإفراط والتفريط، فاعتدال قوة الإدراك - الحكمة- وهي ملكة راسخة في النفس تدرك بها النفس الصواب من الخطأ وهو القدر المحمود المطلوب حصوله في الأنفس، وما سواه إفراط أو تفريط،

أما الإفراط فهو الجربزة - وهي الخروج في الفكر عن الحد اللائق وعدم استقامة الذهن على شيء بل لايزال يستخرج أموراً دقيقة غير مطابقة للواقع ويتجاوز عن الحق ولا يستقر عليه- ويصدر بسببها من الإنسان أفعال يتضرر الغير بها كما هي عادة أهل المكر والدهي والخديعة المتحذقين في الأحوال الدنيوية، ويقابل الجربزةَ البلادةُ، يقصر صاحبها عن إدراك الخير والشر، وهي الصفة الكثيرة الوجود التي تستلزم من القصور عدم نشاط الإنسان إلى الخير من كل الأحوال الدنيوية والأخروية.

واعتدال قوة الغضب - الشجاعة- التي بها يقدم الإنسان على الأمور الصعبة التي ينبغي أن يقدم عليها، وإفراط الغضب التهور وهو الإقدام على الشيء بقلة مبالاة، فيقدم على أمور لا ينبغي له أن يقدم عليها فيقع في المحذور، ويقابله الجبن وهو الإحجام عن مباشرة ما يلزم فعله في حقه.

واعتدال قوة الشهوة - العفة- التي بها يباشر الإنسان المشتهيات على وفق أحكام الشرع وما تستدعيه المروءة، وإفراط الشهوة الشره والفجور، والشره غلبة الحرص للتحصيل على المرغوب على أي صورة كان، والفجور هو الكذب والانبعاث في المعاصي، فإذا فجر تناول المشتهيات كيفما كانت حلالاً أو حراماً من غير مبالاة، ويقابل الشرهَ والفجورَ الخمودُ الذي به يقصر الإنسان عن استيفاء ما يتطلب من المشتهيات المباحة شرعاً لضعف في البنية أو كبر أو مرض أو خوف أو نحو ذلك فيتسبب عنه انطفاء حرارة القوة الشهوانية.

فعرفت بهذا أم مِلاك الأخلاق الفاضلة في اعتدال هذه القوى الثلاثة وهي: الحكمة والشجاعة والعفة.

قال علماء التربية أن هذه الثلاثة تحصل في الإنسان باستخدام قوة الفكر لقوة الغضب والشهوة وقهرهما حتى تدخلا تحت سلطانها فلم يبق لهما أثر في النفس مستقلاً، والأطراف وهي الجربزة والبلادة والتهور والجبن والشره والخمود تحصل في النفس وتقوى باستخدام قوة الغضب والشهوة لقوة الفكر حتى يكونا مسيطرين عليها بالغلبة فيكون الإنسان تحت تأثرهما ولم يكن لقوة الفكر سلطان مهيمن، وبذلك يقع الإنسان في المهالك ولا يجد في نفسه كابحاً يقيد نفسه عن ورود المعاطب حيث أصبح مغلوباً على أمره لضعف قوة التفكير ودخولها تحت سيطرة الغير عوض أن تكون هي المسيطرة.

على أنا نقول أن الاعتدالات الثلاثة إنما تكون محاسن إذا سلمت من الأغراض الفاسدة، أما إذا كانت مشوبة بمقصد خبيث كما إذا قصد بالشجاعة تشفي النفس، أو بالعفة الكبر، فإنها تدخل في الرذائل وعلى هذا القياس، فكل خلق من الأخلاق الإنسانية ناشئ ومتولد عن ضعف قوة الفكر وسيطرة قوة الشهوة والغضب، فتحصل عن ذلك الأطراف وتتغلب في النفس وتكون هي البارزة مجتمعة أو منفردة.

وأهم الأمور التي تجعل قوة الفكر هي المهيمنة الوازع الديني وهو يقوى ويضعف في نفس المؤمن، فإذا قوي حصلت الاستقامة وإذا ضعف كانت الأخرى فوجب بمقتضى هذا التدريج أن نهتم بتقوية الوازع الديني في النفوس لنضمن لأنفسنا رادعاً مسيطراً يكبح جماحها وتستقيم بذلك أخلاقنا وتسود فينا آداب الإسلام.

العلامة النحرير

محمد الشاذلي بن القاضي

علماءُ من غزة

العارف بالله

ابن زُقّاعة الشافعي القادري الغزي

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام العالم القدوة المحدِّث المقرئ، إمام المحققين، وقطب العارفين برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن بُهادر بن أحمد القادري الشافعي الغَزِّي القُرَشي النوفلي، الشهير بابن زُقّاعة، شيخ السادة القادرية في القرن التاسع.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى في غزة هاشم غُزَّةَ ربيع الأزهر عام أربع وعشرين وسبعمائة للهجرة، تعلم صناعة الخياطة واشتغل بها ليقوم بنفسه، وأخذ يتردد على مجالس العلماء ليتعلم أصول الدين وفروعه، فأخذ الفقه عن الشيخ بدر الدين القُونوي، والقراءات عن الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الحكري الشافعي المصري، والتصوف عن الشيخ عمر حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى، وسمع الحديث من نور الدين علي الفُوِّي وغيره، ونظم الشعر، ونظر في النجوم – أي تعلم الفلك-، وعلم الحرف، وبرع في معرفة منافع النبات والأعشاب وفاق في ذلك، وساح في الأرض، وتجرد وتحقق وتزهد فاشتهر ببلاد غزة، وعرف بالخير والصلاح، وتصدر فيها للتدريس في القرن الثامن، وكان يسكن القدس وغزة وله ديوان شعر فيه كثير من المدائح النبوية والقصائد الصوفية.

مناقبه:

كان إماماً بارعاً مُتفَنِّناً في علوم كثيرة لاسيما التصوف، ومعرفة الأعشاب والرياضة، وكان أعجوبة في قدرته على النظم عالماً بعلم الحرف والأوفاق، وكان رحمه الله تعالى آية في الطب والتشريح والفلك والأدب وله ديوان شعر وتآليف، فقد نال الرئاسة في علوم كثيرة، وكان له

رحمه الله تعالى حظوة عند ملوك مصر، ونال من الحُرمة والوجاهة ما لم ينله غيره من أبناء جنسه، فقد كان يجلس فوق قضاة القضاة، وقد رغب الظاهر برقوق في لقائه فاستدعاه إليه وبالغ في تعظيمه فسارع الناس إلى زيارته، وقد عَفَّ رحمه الله تعالى عن تناول مال السلطان فقَوِيَ اعتقاد الناس فيه، ثم عاد الإمام بعدها إلى غزة، وكان السلطان يستدعيه كل سنة لحضور المولد النبوي الشريف في ربيع الأزهر بقلعة الجبل فيحضر ويداوي المرضى احتساباً، ثم توجه إلى القاهرة، ولما تولى المؤيد نقم عليه وأهانه فتوجه إلى مكة قاصداً الحج وجاورها مدة، ثم عاد إلى القاهرة وتوفي بها.

وكان من كراماته رحمه الله تعالى ما حكاه الحافظ ابن حجر رحمه الله عن خليل الأقفهسي المحدِّث عن الشيخ محمد القرمي المقري أنه كان في خلوة، فسأل الله أن يبعث إليه قميصاً من يد ولي من أوليائه، فإذا ابن زقَّاعة ومعه قميص، فأعطاه إياه ثم انصرف فوراً.

ومما يزين به المقال ما حكاه الإمام المقريزي رحمه الله عن اجتماعه بالإمام ابن زُقَّاعة رحمه الله تعالى حيث قال: "اجتمعت به في مدينة غزة في قِدمتي إليها في ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين وسبعمائة فوجدته رجلاً كثير المعروف، ووقتَ جلوسي عنده دق الباب عليه مرات ويخرج ويجئ وهو مسترزق من العقاقير، وهو رجل فاضل يعرف قراءات القرآن، ويصف أشياء للأوجاع كالأطباء، ويُطلب منه الدعاء، وقد طلب مني أحاديث من كتاب العلم لأبي خثيمة زهير بن حرب وسمعها على القِدمة الثالثة، وسمعت أنا عليه وقرأت عليه أيضاً بعض شيء من شعره، وأجاز لي ما له من نظم ونثر"، ومن فضله وسَعة علمه وعلو منزلته رحمه الله تعالى ما كتبه الحافظ إليه يستجيزه:

نَطْلُبُ إِذْناً بالرِّوايَةِ مِنكُمُ ... فعادَتُكُمْ إيصالُ بِرٍّ وإحْسانِ
لِيَرْفَعَ مِقْداري ويَخفِضَ حاسِدي ... وأَفْخرَ بينَ العالَمينَ بِبُرْهانِ

فأجاب رحمه الله تعالى:

أَجَزْتَ شِهابَ الدِّينِ دامَتْ حَياتُه ... بكلِّ حديثٍ حازَ سَمْعِي بإتْقانِ
وفِقْهٍ وتاريخٍ وشِعرٍ رَوَيْتُه ... وما سَمِعَتْ أُذْني وقالَ لِساني

مؤلفاته:

كان رحمه الله تعالى متبحراً في علوم كثيرة، وله تآليف كثيرة منها ما هو مخطوط بمكتبة الجامع العُمري الكبير أدام الله بنيانه وأحيا عمرانه بذكره تعالى وبمجالس العلم، ومنها ما هو مفقود، ومن هذه الرسائل: (دوحة الورد في معرفة النرد)، و(تعريب التعجيم في حرف الجيم)، و(لوامع الأنوار في سيرة الأبرار)، وكتاب (الوجود)، وله القصيدة التائية في صفة الأرض تجاوزت خمسة آلاف بيت، وله ديوان شعر يضم الكثير من المدائح النبوية والقصائد الصوفية وغيرها.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في ثامن ذي الحجة عام ست عشرة وثمانمائة للهجرة، ودفن في مصر خارج باب النصر بمقبرة الصوفية، رحم الله الإمام وألحقنا به، وجعلنا من السائرين على دربه المستنيرين بهديه، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

بلادنا فلسطين

المدرسة الصلاحية

لا تزال مدينة القدس عروس فلسطين ومنارتها التي تضيء لكل مسلم الطريق إليها، لتبقى حاضرة في قلوبهم وعقولهم، وليتزودوا بالتقوى والصلاح حتى تعود روضة من رياض الإسلام وتطهر من دنس الصهاينة الغاصبين، فقد كانت مدينة القدس على مر التاريخ محط أنظار عظماء الإسلام، فها هو ناصر الدين أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي الأشعري الشافعي الصوفي قد أفنى حياته في سبيل تحرير فلسطين وبيت المقدس، ثم بعد ذلك توجه إلى تعمير القلوب بتعليم الناس ما يصلح دينهم ودنياهم، فبنى رحمه الله تعالى المدرسة الصلاحية في بيت المقدس وأوقفها لخدمة الدين وتعليم شرعنا الحنيف من عقيدة وفقه وحديث وسلوك وغيرها، وإن مما يشرف به المقام أن نتحدث عن لمحة من تاريخ هذه المدرسة العريقة التي تظهر للعالم أجمع سماحة الإسلام ورقيه، وتعرِّف المسلمين أنفسهم بالمنهج الذي حمله مَن قبلهم من السلف الصالح وأورثوه لهم غضًّا طرياً لا يحتاج إلا إلى إعمال نظر، وحسن تدبر، وإخلاص نية.

تقع المدرسة الصلاحية على مقربة من باب الأسباط على الحائط الشرقي للحرم القدسي الشريف في مواجهة كنيسة القديسة حنة، أنشأ المدرسةَ الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الأشعري الشافعي عام ٥٨٨ هجري لتدريس الفقه والحديث على المذهب الشافعي، وفي ذلك يقول الأصفهاني في كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي): "جمع السلطان جلساءه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة (ضدحنة) بعد أن تصالح مع نصارى بيت المقدس"، وكان أول من تولى تدريسها القاضي ابن شداد صاحب كتاب (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، وقد تعرضت هذه المدرسة لتبديلات وظيفية من النقيض إلى النقيض، فبعد قيامها بدور المدرسة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي وأغلب فترات العصر العثماني آلت إلى الخراب بعد الزلزال الذي ضرب القدس في عام ١٢٣٧ هجري الموافق ١٨٢١ رومي، الأمر الذي شجع الحكومة اليونانية على السعي لدى الدولة العثمانية لاستردادها وتحويلها إلى كنيسة مثلما كانت قبل أن يشتريها السلطان الناصر صلاح الدين رحمه

الله تعالى ويحولها إلى مدرسة عقب تحرير مدينة القدس وطرد الصليبيين منها عام ٥٨٣ هجري الموافق ١١٨٧ رومي، ولكن السلطات العثمانية فضلت أن تعطي المدرسة الصلاحية لكاثوليك فرنسا على سبيل المكافأة لوقوف الفرنسيين إلى جانب تركيا في حرب القرم، وبالفعل حولت إلى كنيسة ملحق بها مدرسة فرنسية، ولكن وقوف فرنسا في الصف المعادي لتركيا إبان الحرب العالمية الأولى أدى إلى قيام الوالي العثماني جمال باشا باسترجاعها وتحويلها إلى كلية علمية دينية عرفت باسم كلية صلاح الدين الأيوبي في عام ١٩١٥ر، ولكن ذلك لم يدم لأكثر من عامين، إذ قام الإنجليز بعد استيلائهم على فلسطين بإعادتها إلى الفرنسيسكان الذين حولوها بدورهم إلى مدرسة بها متحف ومكتبة وكنيسة، وقد أدى ذلك إلى تغيير التخطيط الأصلي للمدرسة الصلاحية، حتى لم يبق مما شيده السلطان الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى سوى مدخلها والنص التأسيسي للمدرسة وهو مسجل في لوح حجري من خمسة أسطر بخط النسخ ونصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ]، هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، ناصر الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي محيي دولة أمير المؤمنين أعز الله أنصاره في الدنيا والآخرة، على الفقهاء أصحاب الإمام والحجة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة".

كانت مشيخة المدرسة الصلاحية في العهد المملوكي من الوظائف السَّنية بمملكة الإسلام، وكان شيخ الصلاحية يعيَّنُ من كبار علماء الدولة، ولا يجلس على كرسيها إلا بإذن من السلطان، إذ هو أحد ثلاثة يتولون السلطة الفعلية في بيت المقدس ويصرفون شؤون العامة فيها، والآخران هما: نائب السلطان، وناظر الحرمين الشريفين، وكثيراً ما كان شيخ الصلاحية يجمع بين وظائف القضاء وتدريس الصلاحية وخطابة المسجد الأقصى، وكان نظام التدريس يسمح للمدرس بأن يدرس في أكثر من مكان واحد، كما كان النظام يسمح له بأن يُنيب شخصاً آخر للتدريس مكانه، وكان يعمل تحت إمرة شيخ الصلاحية أربعة قضاة: واحد للشافعية، وثانٍ للحنفية، وثالث للمالكية، ورابع للحنابلة، وقد ظلت المدرسة قائمة مدة طويلة، وآخر من يعرف من شيوخها الشيخُ علي بن حبيب الله الشافعي المقدسي، وكان قبله ابنُ عمه السيد محمد جار الله.

ومن الواضح أن شيخ الصلاحية، كان له دور فاعل في المشاركة في إدارة وتسيير الشؤون الدينية والعامة في بيت المقدس، إذ كان يحظى بمكانة عالية مرموقة سواء على الصعيد العلمي أو الاجتماعي أو السياسي، ومن أهم مدرسي المدرسة الصلاحية في العهد المملوكي:

- الإمام العالم القاضي محيي الدين قاضي غزة، أبو حفص عمر بن القاضي السعيد عز الدين موسى بن عمر الشافعي، ولد عام ٦٠٨ هجري، وتولى التدريس بالصلاحية عام ٦٥٧ هجري، وكان وافر الديانة كثير الكرم، وكان نزيهاً عفيفاً حسن السيرة، توفي بغزة عام ٦٧٩ هجري.
- الإمام العالم المفتي الفقيه شيخ الإسلام جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجريقي، ولاه القاضي شمس الدين ابن خلكان - قاضي الممالك الشافعية- الحكم بغزة وتدريس الصلاحية بالقدس، كان شيخاً فقيهاً، محققاً مَهيباً، كثير الصلاة، حافظاً للسانه، توفي عام ٦٩٩ هجري.
- الشيخ الإمام الفاضل مفتي المسلمين شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيي الدين يحيى بن تاج الدين إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل الحلبي الأصل ثم الدمشقي الشافعي، كان من أعيان الفقهاء، ولد عام ٦٧٠ هجري، واشتغل بالعلم ولزم المشايخ، توفي عام ٧٣٣ هجري.
- الشيخ الإمام العالم العلامة البارع شيخ الإسلام علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب بن منصور المقدسي، اشتغل بالعلوم وسمع الحديث وكتب الكثير من الفقه والعلم بخطه المتقن، وولي التدريس بالمدرسة الصلاحية في شهر ربيع الآخر عام ٧٢٦ هجري، وقد صار عالماً كبيراً، توفي عام ٧٤٨ هجري.
- الإمام البارع المحقق بقية الحفاظ شيخ الإسلام صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي ثم المقدسي، ولد بدمشق عام ٦٩٤ هجري، وسمع الكثير ورحل، وبلغ عدة شيوخه بالسماع سبعمائة وأخذ عن مشايخ الدنيا، وأجيز بالفتوى وجدَّ واجتهد حتى فاق أهل عصره، درس بدمشق ثم انتقل إلى القدس مدرِّساً بالصلاحية عام ٧٣١ هجري، توفي رحمه الله تعالى بالقدس الشريف في المحرم عام ٧٦١ هجري.

- قاضي القضاة شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب زين الدين أبي محمد عبد الرحيم بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني قاضي مصر والشام، خطيب الخطباء، وشيخ الشيوخ، وكبير طائفة الفقهاء، وبقية رؤساء الزمان، ولد بمصر في شهر ربيع الآخر عام ٧٢٥ هجري، وقدِم دمشق صغيراً فنشأ عند أقاربه، وسمع وطلب الحديث بنفسه، واشتغل في فنون العلم، وانقطع ببيت المقدس للتدريس في المدرسة الصلاحية، وقد توفي رحمه الله تعالى عام ٧٩٠ هجري.
- شيخ الإسلام نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الخطيب برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الكناني الشافعي، مولده بحماة عام ٧٢٥ هجري، وقد كان نائباً عن ابن عمه قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة في الخطابة والتدريس في المدرسة الصلاحية مدة طويلة حتى فوض إليه نظرها وتدريسها، وقد كان رحمه الله تعالى صالحاً ناسكاً كثير العبادة، توفي عام ٧٩٥ هجري.
- قاضي القضاة عماد الدين أبو عيسى أحمد بن موسى العامري الأزرقي الكركي الشافعي، ولد بالكرك في شعبان عام ٧٤١ أو ٧٤٢ هجري واشتغل بها، ورحل إلى الشام والقاهرة في طلب الحديث وأخذ عن جماعة، ثم استقر في تدريس المدرسة الصلاحية وخطابة المسجد الأقصى وإمامته في السابع عشر من رجب عام ٧٩٩ هجري، وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأول عام ٨٠١ هجري.
- شيخ الإسلام شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري الدمشقي المقرئ الأشعري الشافعي، مولده في ليلة السبت السادس عشر من رمضان عام ٧٥١ هجري، اعتنى بالقراءات فأتقنها ومهر فيها، ولي تدريس الصلاحية بعد الشيخ نجم الدين بن جماعة، وأقام بها نحو السنة، توفي رحمه الله تعالى عام ٨٣٣ هجري.
- الشيخ العلامة زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات القمني المصري الخزرجي، ولي تدريس المدرسة الصلاحية في عام ٧٩٧ هجري واستمرت بيده مدة وهو مقيم بالقاهرة، توفي رحمه الله تعالى عام ٨٣٣ هجري.

- شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي المصري ثم المقدسي المشهور بابن الهائم، ولد عام ٧٥٣ أو ٧٥٦ هجري، اشتغل بالقاهرة ومهر في الفرائض والحساب، ولما ولي القمني تدريس الصلاحية أحضره إلى القدس واستنابه في التدريس وصار من شيوخ المقادسة ثم استقل بتدريس الصلاحية، توفي رحمه الله تعالى عام ٨١٥ هجري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.